

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته...

سماحة المفتي الجليل،
السيد مدير المنطقة المحترم،
حضرات الشيوخ والآباء الأفاضل،
السادة رجال الدولة الكرام،
السيدات والسادة المحترمين،
الأخوة الأعزاء جميعاً،

للمرة الثانية أشرّف بالوقوف بينكم، في مسقط رأسي النبك، الذي أعتزّ به، للمشاركة بـ

" ذكرى المولد النبوي الشريف "

فأستهل كلمتي هذه ببسملتي المؤمنين - مسلمين و مسيحيين - رمز إيماننا جميعاً بوحدانية

" الله الأحد ، الله الصمد، لم يلد و لم يولد ولم يكن له كفواً أحد " (1)

و أقول عالياً:

بسم الله الرحمن الرحيم إله واحد آمين

باسم كلّ من يكنّ المودة للذين آمنوا، أقدم التهنائي والتبريكات بهذه المناسبة السعيدة على قلوبنا جميعاً وبعد :

وكان قبل كل شيء	" الحمد لله الذي لم يكن شيء قبله
والله مصير كل شيء...	الذي ليس شيء بعده
أن تجعلنا ممّن يعرف حَقّك	نسألك ألهم برحمتك وقدرتك
ويسّح بأسمائك الحسنی	ويتبع رضاك ويتجنّب سُخطك
أنت الراحم، الرحمن الرحيم	ويتكلّم بأمثالك العليا
و على الخلائق عَليت...	على العرش استويت
وإله كل شيء وخالق كل شيء	فأنت ألهم ربّ كل شيء
ولین قلوبنا واشرح صدورنا	افتح أفواهنا و أنشر ألسنتنا
العلي العظيم، المبارك المقدس	لتسبيح اسمك الكريم
ولا إله بعدك	فإنه لا إله قبلك
وأنت على كل شيء قدير..." (2)	إليك المصير

بعد هذا الدعاء الرائع الذي استقيته من أقدم نصّ عربي مسيحي، وبهذه المناسبة السعيدة : ذكرى مولد النبي القرشي العظيم :

محمد بن عبد الله - صلى الله عليه وسلم -

الذي وحّد الجزيرة على الإيمان بوحدانية الله وعزّز في نفوس أبنائها الكرامة والإيمان ... أوّد التأكيد، لحفلكم الكريم، أني أعتزّ بانتمائي إلى القلمون الذي جعل منه كبارُه الحكماء وأبناؤه الأوفياء رمزا للتعايش والتسامح والمحبة بين مسلميه ومسيحيه.

من أفواه رجال الدين والشيوخ تعلمنا الكثير عن حياة النبي، لذا أوّد التركيز على حياته قبل رسالته وعن البيت الذي نشأ فيه :

" نحو عام 570 م - وهو عام الفيل- وُلِدَ في مكة لرجل يدعى عبد الله بن عبد المطلب من آل هشام من قبيلة قريش، من زوجته أمية، طفل دُعِيَ محمداً، وهو نبي الإسلام... (3)

وقبيلة قريش هي أولى القبائل العربية شرفاً وجاهاً، إذ كان لها حصر الحجابة، القيادة، السقاية، الرفادة، دار الندوة، اللواء. (4) إذاً كانت عائلة النبي تتولى أمور الكعبة. ويؤكد مفسرو القرآن الكريم أن والديه كانا على الصراط المستقيم، حنيفين مؤمنين بوحدانية الله، عز وجل. توفى الله والدّه وهو لا يزال في المهدي، تاركاً له خمس نوق ومربية نصرانية اسمها " بركة الحبشية " وكنيتها " أم أيمن " وكان النبي يحبها كثيراً حتى أنه كان يقول لها :

" أنتِ أمي بعد أمي"... (5) كما قال : من سرّه أن يتزوج من أهل الجنة فليتزوج أم أيمن " (6)

إثر وفاة والد النبي تكفلته جده لأبيه عبد المطلب، واسترضع في بني سعد فأرضعته حليلة السعدية، وكانت نصرانية، ولما نمت وترعرع رده إلى أمه التي توفيت بعد فترة وجيزة، فعاد يتيم الوالدين إلى عمه أبو طالب، السيد المطاع ذي الهيبة والوقار في عشرينته لما تحلّى به من صفات حميدة ومعتقدات سديدة وأحكام رشيدة، ومعروف عنه تحنّنه في غار حراء مع ابن عمه القس ورقة بن نوفل وأبي أمية بن المغيرة وابنه علي وابن أخيه محمد وكان ابوطالب معروفاً بكماله الأخلاق وإطعام المساكين ووفاء النذر. وتحريم الخمر ومنع الزنى ومحاربة الأوثان. والإيمان بالقيامة. والحساب... (7) فد " نهض أبو طالب بحق ابن أخيه على أكمل وجه ، وضمه إلى ولده وقدمه عليهم وخصّه بفضله واحترام ، وظلّ فوق أربعين سنة يُعزّز جانبه ويبسط عليه حمايته ويصادق ويخاصم من أجله "... (8) هذه عائلة النبي ذات الأخلاق الكريمة والإيمان...

عمل الرسول في حدائته مع عمّه أبي طالب في رعاية الماشية وتعلّم منه الصيد والقتال والتجارة ورافقه في أسفاره إلى اليمن السعيد وبلاد الشام ، وخالف مختلف الشعوب واضطلع على النصرانية بطوائفها (أريوسية، نسطورية، منوفيزية وخلقيدونية) وتعرّف على رهبانها وقسيسها وأحبهم ، ونزلت الآية الكريمة :

" ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى، ذلك بان منهم قسيسين و رهباناً وإنهم لا يستكبرون "... (9)

وهؤلاء الرهبان والقسيسون هم أيضاً أحبّوه، وموسوعة الأديان تفيدنا بما يلي : " وفي سفره هذا رآه الراهب بحيرا قرب الشام، فسأل أبا طالب أن يرده إلى بلده وأن يحذر عليه من اليهود... " (10)

- ولما كانت عائلة النبي على التوحيد كما جاء في القرآن

" ولنن سألتهم من خلق السموات والأرض وليقولنّ : الله " (11)

" ولنن سألتهم من نزل من السماء ماءً فأحيا به الأرض من بعد موتها ليقولنّ: الله ". (12)

- ولما كانت عائلة النبي وعشيرته سدة الكعبة موحدين عابدين متحنّنين،

- ولما كان الله سبحانه قد صانه وطهره من دنس الجاهلية ومنحه خلقاً جميلاً حتى لم يكن يُعرف إلا بـ " الأمين "... (13)

- كان لا بد لهذا الشاب المعجزة الذي وُلِدَ ونشأ في جوّ مفعم بالإيمان والهداية والمليء بعباد الله الواحد الأحد و خائفه أن يكون أهلاً لرسالته التي وُحِدَ حولها الجزيرة العربية وعلّم منذراً مبشراً :

" ليس البرّ أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب، لكن البرّ من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتب والنبیین

وأتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب، وأقام الصلاة وأتى الزكاة والموفون بوعدهم إذا عهدوا،

والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس، أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون "... (14)

وختاماً أتمنى عليكم المشاركة في رفع هذا "الاسترحام" إلى من على العرش استوى : " يا رب "

يا أرحمَ الراحمين نتوسل إليك ضارعين أن تقومَ سبلنا
وتعينَ ضعفنا وتثبتَ أقدامنا وتطهرَ أعمالنا
وتتقيَ ضمائرنا وتمحي أوزارنا وتقدسَ نفوسنا
وتسترَ أعراضنا وتشفي مرضانا وتسدَّ شيوخنا
وتعضدَ شبابنا وتربيَ أطفالنا وتردَّ غيَابنا
وتصبرَ المحزونين وتشبعَ الجائعين وتحفظَ الحاضرين
وتعيدَ المفقودين وتبعدَ جورَ الظالمين وترزقنا يا كريم... (15)

" يَا رَب "

يا أرحمَ الراحمين نتوسل إليك ضارعين أن تحمي رئيسنا
وتحفظَ كرامةَ شعبنا وتحصنَ عزَّةَ وطننا وتوحدَ قلوبنا
وتثبتنا في تعائشنا إلى أبدِ الأبدِين آمين... ..

نبيك، في 2006/4/11

فؤاد عزيز قسيس

مصادر ومراجع: (1) سورة الإخلاص -4-1/112-مكية

- (2) هذا بعض من أقدم نص عربي مسيحي وصل إلينا مؤرخ بين 760/ 765 مجهول المؤلف
وصل إلينا في نسخة وحيدة محفوظة في طور سينا مخطوط 154 عربي- فقدت من الورقة الأولى...
- (3) موسوعة الأديان - مهد الحضارات - الجزء 9 - الإسلام - المركز الثقافي الحديث بيروت سنة 2005 ص. 9
- (4) ابن هشام 124/2 تاريخ الطبري 258/2- الكامل لابن الأثير 13/2- أنساب البلاذري 52/1
الحجاية: الوصاية على مفاتيح الكعبة - القيادة: حكم الأمة - السقاية: توفير الماء للحجاج
الرفادة: إطعام الحجاج - دار الندوة: برلمان للتشاور في أمور المدينة -
اللواء: حمل العلم (قطعة قماش) على رأس الرمح عند إعلان الحرب.
- (5) السيرة الحلبية 117/1
- (6) السيرة الحلبية 57/1
- (7) السيرة الحلبية 259/1- 260
- (8) محمد الغزالي، فقه السيرة- ص67
- (9) القرآن الكريم - سورة المائدة 82/5 مدنية
- (10) موسوعة الأديان - مهد الحضارات جزء 9- الإسلام - المركز الثقافي الحديث، بيروت، سنة 2005 ص. 12
- (11) سورة لقمان 25/31 + الزمر 38/39 + الزخرف 87/43
- (12) سورة العنكبوت 63/29 مكية
- (13) حياة النبي محمد - سيرة الرسول - إسماعيل بن عمر كثير الشافعي- دار نوبليس، بيروت، سنة 2005 ص. 18
- (14) سورة البقرة 177/2 مدنية
- (15) استقيتُ هذا " الاسترحام " من صلاة قديمة / مترجم عن السريانية...

